بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

أما بعد: فقد فرغنا في المرة الماضية من الحديث السابع والعشرين، ونشرع اليوم إن شاء الله تعالى في التعليق على الحديث الثامن والعشرين.

يقول المصنفُ- رحمه الله-: **(عن أبي نَجيحٍ العِرْباض بن ساريَةَ ﷺ قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وَجِلَتْ منها القلوب، وذرَفَتْ منها العيون، فقلنا: يا رسولَ الله؛ كأنها موعظةُ مُودِّعٍ فأوصِنا. فقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمعِ والطاعةِ وإن تأمَّرَ عليكم عبدٌ، وإنه مَن يعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيرا؛ فعليكم بسنّتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديّين، عَضُّوا عليها بالنواجِذ، وإياكم ومُحدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ. رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح).**

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، التي اشتملَتْ على معانٍ جليلة..وهذا الحديث ينبغي لنا تأمّله أكثر وفي وقتٍ أوسع من وقتِ هذه الدورة..وتكلّم على أصولٍ عظيمة في الوعْظِ، والوصيّةِ، وطاعةِ وليِّ الأمر المسلم، وذمِّ البِدَع.

وقوله رحمه الله: **(عن أبي نَجيحٍ العِرْباض بن ساريَةَ ﷺ)** راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل العِرْباضِ بن ساريَةَ السُّلَمي،كُنيتُه: أبو نَجِيْح..ومعنى العِرباض الطويل ،كان العِرباضُ من أهل الصُفَّة، وهو مشهورٌ بالبكاءِ ورقَّةِ القلب..وهو من السابقين في الإسلام..مات سنة خمسٍ وسبعين في الشام في عهد عبد الملك بن مروان.

وقوله ﷺ: **(وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وَجِلَتْ منها القلوب، وذرَفَتْ منها العيون)**..**الموعظة** في الأصل: النُّصْحُ والتذكيرُ بالعواقب كما يقوله الجوهري في الصِّحاح..فيُذكَّرُ السامِعُ بعواقبِ الأفعالِ الحسَنةِ والسيّئة،ويُبيَّنُ له الأحكامُ التي ينبغي أن يعملَها لتَحسُنَ عاقبتُه، ويأمَنَ من المهلِكات..وليس الوعظُ بمختصٍ بالتخويف كما اشتهر عند بعضِ الفضلاء؛ بل قال الخليل: هو التذكيرُ بالخير وما يرِقُّ له القلب ؛يعني من الثوابِ والعقابِ ليتعلّقَ بالله ويتذكَّرَ الآخرة..وهذا يدلُّ على أهميةِ الموعظةِ للعلماءِ وطلبة العلم فضلًا عن العوام..لا يقول الإنسان: أنا طالب علم، أموري مستقيمة..لا..الإيمان يزيد

وينقص..والقلوبُ تصدأ كما هو مشاهد والله المستعان..وأعظَمُ الوعْظِ مدارسةُ القرآنِ، وأعظمُ ما في القرآنِ صفاتُ اللهِ جلّ وعلا، وذكرُ نعمِهِ وآلائِه العظيمة، وكذلك ذكرُ أحوالِ الأممِ السابقة..فإنَّ اللهَ ذكر من أحوالِ الأممِ السابقةِ ومن أمراضِهم ومصائبِهم ما تُحذَّرُ منه هذه الأمّة؛فتنة المال: ذكر هذا المرضَ ومآلَه في قِصّةِ شعيب عليه الصلاةُ والسلام..التحايلُ على أمرِ اللهِ وجَحدُ نعمِه وكفرُه: ذكرها كثيرًا في قَصِصِ بين إسرائيل مع موسى عليه الصلاة والسلام..الانكبابُ على المعاصي والفجورِ والولوغُ في الفواحش: ذكر عواقبَها ومصيرَ أهلِها في قصّةِ قوم لوط عليه الصلاةُ والسلام..الاغترارُ بالقوّةِ والصناعةِ: ذكرها في قِصّةِ قومِ عاد..وهكذا..ولا يُملُّ من مدارستِها؛ فإنَّ القرآنَ مثاني كما وصفه الله تعالى..إذن: النبيُّ ﷺ وعَظَ الصحابةَ موعظةً بليغة..لأنّهم يمتثِلون أمرَ القرآنِ في كلّ شيء، وقد قال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿**وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلا بَلِيغًا**﴾**[النساء: ٦٣]**..وبلاغةُ القول في مثل هذه المواطن ما اشتمل على أمور:

أولاً: الوضوح في الكلام ليُفهَم المقصود، فيبتعد عن الكلام المتكلّف ليُفهَم ؛الناسُ يتفاوتون في الفَهم، لكنهم محتاجون للوَعظ، فلابد من حصول المقصود.

ثانيًا:مراعاة الحال فيُطوّل ليستوفي الموضوع، أو يقتصر على الإشارة في حال انشغالِهم. والمطلوب المشيُ على أدنى مستوى واحدٍ فيهم كما قال النبي – أشار إلى هذه القاعدة بقوله –ﷺ: (وإذا أمَّ أحدكم بالناسِ فلْيُخَفف، وإذا صلّى لوحده فلْيُطوِّل ما شاء)..فدائمًا في الأعمالِ الاجتماعية التي تجمَع أكثر من واحد، نراعي فيها حال الأضعف والأدنى؛ هذا في الغالب.

وكذلك الكلامُ مع النساء يختلف عن الرجال؛ تُجتنب ألفاظ قد تُقال عند غيرِهم، الكلام مع الصغار يختلف عن الكبار، أهل الإيمان والصلاح يختلف عن الكلام مع أهل المعاصي والفجور، العالِم بالحكم يختلف عن الجاهل، كلُّ واحدٍ له طريقة..وانظروا إلى تعامل النبي ﷺ لما بال أعرابي في المسجد ،مرّة بال أعرابيٌّ في مسجدِ النبيّ ﷺ–مكان للعبادة والصلاة– فالصحابةُ قاموا عليه وزجروه، ولكنَّ النبيَّ ﷺ نهاهم، وقال: لا تُزْرِموه، دعوه..ثم بيّن له الحكمَ فيما بعد، وأنَّ هذه المساجد لا يصلح فيها شيءٌ من هذه الأمور..هذا موقف،وهناك موقفٌ آخر مع رجلٍ عنده علمٌ بالحكم الشرعي، لكنَّ الإيمانَ ضعيفٌ عنده، شابٌّ جاء إلى

النبيّ ﷺ وطلب منه أن يأذنَ له بالزنى..فقام الصحابةُ عليه، فنهاهم النبيُّ ﷺ، ودعاه ودنا منه؛ ثم قال له النبيُّ ﷺ –ما أحسنَ تعليمَه صلى الله عليه وسلم –: قال له: (أتحبُّه لأمِّك؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله فداك أبي وأمي..فقال له ﷺ: ولا الناس يُحبّونه لأمّهاتهم..ثم قال تحبُّه لبنتك..وهكذا بدأ يُعدِّد له ﷺ أتحبّه لأختِك لعمَّتِك لخالتِك..–وكلُّ مرّة يقول الشاب: لا والله يا رسول، جعلني اللهُ فِداك–..فوضَع النبيُّ ﷺ يدَه على صدره وقال: اللهم اغفِر ذنبَه، وطهِّر قلبَه، وحصِّنْ فرجَه)..فلم يكن الفتى بعدَ ذلك يلتفتُ إلى شيءٍ من هذه الأمور؛مواعظ بليغة، يراعي الحال والمستمع، يعِظُ بشفقةٍ ونُصحٍ..وليس الهمُّ فقط إقامةَ الحجّة ثم يستوي عنده هلاكُهم ونجاتُهم..لا..ولذلك وصفَ الله نبيّه بقوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾**[التوبة: ١٢٨]** ..طيب هناك موقف آخر، شخصٌ عنده الاستعدادُ الكامل لجميع الأوامر والنواهي، في الصفِّ الأوّل من الدين، لكنه وقع في محرّم جهلاً منه، هذا الحال لا بأسَ إذا عُومِل مباشرةً بتوجيه الأمر والنهي..مثل حديث ابن عبّاس، نزعَ النبيُّ ﷺ خاتمَ ذهبٍ في يد أحد الصحابة وطرحه، وقال له: (يَعْمَد أحدُكم إلى جمرةٍ من نارٍ فيجعلُها في يدِه)..هذا الرجل كان مؤمناً صادقاً بلغ درجةً عاليةً في الإيمان..والدليل على بلوغه هذه الدرجة؛ أنّه في نفْسِ الحديث –والحديث في الصحيح– نفس الرجل لما ذهب النبيُّ ﷺ قيل له: خُذِ الخاتم وانتفعْ به..بِعْهُ مثلاً أو اهدِهِ لزوجتك؛ لأنَّ الممنوع في حقِّه استعمالُه واتخاذُه، لا بيعُه..فماذا قال هذا الصحابي المؤمن؟ قال: (لاوالله لآ آخذُه أبداً وقد طرحَه رسولُ الله ﷺ)..فهل رأيْتُم إيمانَه؟! والمشكلة يأتي واحد ويفعَل في نَهيِه عن المنكر مثلَ هذا الفعل مع أناسٍ على حافّةِ الإيمان..والخطاب الجماعي كالخُطَب يختلف عن الموعظةِ والنصيحةِ لشخصٍ بعينه..على كلّ حال المواقف كثيرة، بعضُ الناس هجرهم النبي صلى الله عليه وسلم كالذين خُلّفوا؛ لكن هؤلاء من أهل الصفِّ الأوّل، أهلِ إيمانٍ وعلْمٍ، ولكل مقامٍ ما يليقُ به؛ ومثل هذه الأمور تُكتسَبُ بالصحبة..وهذا ما يُسمّى بالحكمة..والكلام على هذا يطول..نرجع لموضوعنا..وصفَ الراوي هذه الموعظةَ بكونها وجِلَتْ منها القلوب: **والوجَل**: الخوف مع الاضطرابِ والقلق..ومنه قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾**[الأنفال: ٢]** يعني لم تطمئنّ، وخافوا أن يكونوا مقصّرين، ولم يطمئنّوا لأعمالِهم وأحوالِهم..فالصحابةُ ما

وعظَهم النبيُّ ﷺ لما وعظهم وجِلَتْ قلوبهم: وهذا يدلُّ على إيمانِهم كما جاء وصفُ المؤمنين في الآية، ويدلُّ على صِدْقِهم،وإخلاصِ النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه وبلاغته كذلك يعني تدل على بلاغةِ الواعظ.

وقوله رضي الله عنه: **(وذرَفَتْ منها العيون)**: يعني سالَتْ الدموع من العيون، وهذه الجملة فيها مباحث بلاغية، لكن الوقت لا يسمح..وتأخيرُه بوصف العيون بعد ذكر حال القلب لأنه مرتّبٌ عليه؛ فالعين تدمَع بعد ماذا؟ بعد تأثُّرِ القلب، إذن: الجوارح تابعةٌ للقلب، هذا في الأصل ما لم يمنع مانعٌ أو عذرٌ- في الظاهر - كالإكراهِ ونحوِه..وفي هذه الجملة بيانٌ لخشية الصحابةِ وما هم عليه من السموّ الروحي، والإيمان واليقين..وهذه الصفةُ قلَّتْ في هذا الزمن، ولكنّها ما زالتْ موجودةً عند جمعٍ من الصالحين، وليس المقصودُ بدموع العواطف التي تتأثّر بالصور والصوتِ فقط!! لا..دموع من خشيةِ الله، من المحبّة والرجاء والخوف..وقد صلّى بنا في مسجدِنا مرّةً الشيخ الفقيه راشد الحقّان حفظه الله صلاة الصبح- من فقهاء الكويت -، قرأ فيها بالحاقة..والله ما انقطعَ بكاؤه في الركعتين-هو الآن تجاوز الثمانين -، وكأن القيامةَ قد قامَت..وحصل هذا معه مراراً..صحبْتُه مرةً فرأيْتُ من قيامِه في الليل العجَب..هذا رجل معاصر ما زال حيا؛ حتى لا يقول قائل: تذكرون أقواماً في زمنٍ يختلف عن زمننا..والله المستعان.

ويُستفادُ من هذا استحبابُ الوعظِ عند الوداع والسفرِ ونحوِها..وقوله رضي الله عنه: **(فقلنا: يا رسولَ الله؛ كأنها موعظةُ مُودّعٍ فأوصِنا)**..كيف عرفوا؟ عرفوا من سياقِ كلامه..كان يقول: فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا..ثم إنه اجتهدَ في هذه الموعظةِ اجتهادَ المودِّع وشفقته شفقة المودِّع..وفي قوله الصحابة رضي الله عنهم: (أوصِنا)..دليلٌ على حرصِهم على العلم الشرعي، واغتنامِهم للخيراتِ والفُرَص لتحصيل الخير، وتعلّقِ قلوبِهم باللهِ والدار الآخرة؛قومٌ سمَتْ نفوسُهم، والآن يجنونَ ويحصدونَ ثمنَ هذا التّعب..أيام قليلة يترتّبُ عليها مصيرُ الإنسانِ إلى ما لا نهايةَ من السنين..فالأمر عظيم.

والوصيّة في الأصلِ بمعنى الوصل..يعني: صِلنا بكلامٍ فيه الخير، وينفعُنا..وهذا فيه طلبُ الوصيةِ من أهل العلم والفضل والصلاح.

فقال ﷺ: (**أوصيكم بتقوى الله عز وجل**)..ونعْمَ الوصية..وهذا يدلّ على أن أعظمَ وصيةٍ هي الوصيةُ بالتقوى.. وقد تكلمنا على التقوى في حديث (اتق الله حيثما كنت).

وقوله ﷺ: (**والسمعِ والطاعةِ وإن تأمَّرَ عليكم عبدٌ**)..أردفَها بهذه الوصية..أتى بها بعد الوصيةِ بالتقوى، لأن الدينَ لا يقوم بغير هذا الأصل؛ لا في الأفرادِ ولا في الجماعات..والمقصود بالسمعِ والطاعة يعني لوليّ الأمر، ولو لم يكن خليفةً عامّاً لجميع المسلمين..لأنَّ بعضَهم يقول: المقصود بالسمعِ والطاعةِ للخليفة العام للمسلمين، وهو الآن غير موجود!! هذا عجيب وغريب..تحكّم وتقييد للنصوصِ بلا موجب ولا دليل..بل الأدلّة تخالفُه، وانظروا كيف قال: (**وإن تأمّر عليكم عبد**)..ومعلوم أنَّ الإمامَ الأعظم من قريش، ولا يجوز أن يكون إلا من قريش، وإذا تجاوزنا فلابد أن يكون حرًّا،ومع هذا قال هنا: (**عبد حبشي**) إشارةً إلى كونه غيرَ الإمام الأعظم، أو إلى الإمام المتغلّب ونحو ذلك، فأوصانا بطاعتِه والسمعِ له..على كلّ حال: لا يقول عاقلٌ بهذا القول..إذن: أوصانا رسولُ اللهِ ﷺ أخشى الناسِ وأتقاهُم وأعلاهم منزلةً ودعوةً وحرصاً وعبوديّةً لله وصدقاً وجهراً بالحق..أوصانا بالسمعِ والطاعة..ولو كان وليُّ الأمرِ عبداً حبشيا..جاء في بعض الروايات: (كأنَّ رأسَه زبيبة)..إذن السمع والطاعة أمرَ بها مَن أمرنا بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والصدقِ والإحسانِ والعدل..هو نفسُه أمرنا بالسمعِ والطاعة؛ فهو إذن من الأعمال الصالحة التي أُمرنا بها، ونتقرّبُ إلى الله بها كغيرها من الأعمال الشرعية، وبها تنتظم أحوالُ الناسِ وتُحقَن الدماء، ويُتفرّغ للدين..والمقصود بالسمعِ والطاعة في غير المعصية..لأن الأمور التي يُسمَع فيها خمسةُ أقسام لا سادس لها؛القِسمة خماسية:

- **إما أن يأمر بواجب:** فهنا تجِبُ الطاعة.
- **وإما أن يأمر بمندوب:** فتجبُ الطاعة.
- **وإما أن يأمرَ بمباحٍ:** فتجِبُ الطاعةُ كذلك.

وإما أن يأمر بمكروه: فتجبُ طاعتُه..فالمكروه لا يأثَم فاعلُه كما هو مقرّرٌ عند الأصوليين..لأنّك هنا بين واجبٍ ومكروه..طاعةُ وليّ الأمر واجبةٌ بنص القرآنِ والسنّة..أنت الآن تطيع اللهَ بهذا الأمر لا وليَّ الأمر لذاته.

- **وأما إذا أمرَ بمحرَّمٍ:** فلا طاعةَ له في ذاك الأمرِ مع بقاء طاعته في غيرِها، لماذا؟ هل خرمْنا القاعدة؟ الجواب: لا ، لأنَّ الذي أمرَ بطاعتِه قال (إنما الطاعةُ في معروفٍ، ولا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الخالق).. الذي أمرنا بطاعة الوالدين لا نطيعهم كذلك في ماذا ؟ في المعصية ، لكن لو أمرك والدك بمكروه تطيعه ؛ بره وطاعته مقدمة . وهكذا. فلو أمر بهذه المعصيةِ جميعُ أهلِ الأرضِ من إمامٍ ووالدٍ وولدٍ وجميع الخلق؛ فلا طاعةَ في معصيةِ الله جلّ وعلا لأحدٍ كائنا مَن كان..وأكثرُ مَن، يخرجون على الولاةِ والحكّامِ يدّعون في بداية الأمر أنَّ خروجَهم لأجل الدين؛ والحقيقةُ خلافُ ذلك..يقول الحسن البصري رحمه الله: (لو أنَّ الناسَ إذا ابتلوا من قِبَل سلطانِهم صبروا ما لبثوا أن يُفرَّجَ عنهم، يعني مع صلاحِهم..ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فو الله ما جاءوا بيومِ خيرٍ قط)..هكذا يقول الحسن رحمه الله..يقول ابن تيمية رحمه الله كلاماً نفيساً جدا يضيقُ المقامُ وإلا لنقلتُه لكم..على كلّ حال المسألة واضحة: إن كان الخروج لأجل الدنيا فالنصوص أوضح من الشمس: (ستلقون بعدي أثرة فاصبروا)..وإن كان لأجل الدين؛ فالدين هو الذي أمرنا بالصبر حتى نرى كفراً هذا واحد..ويكون بواحاً، هذا اثنين..وفيه لكم من الله برهان..هل رأيتم أوصاف هذا الكفر..بعد توفّرِها يشترطون أيضا شرط القدرة، وعلى هذا جمهورُ العلماء..وفي الحقيقة هذا المقامُ يحتاجُ لتفصيلٍ كثيرٍ جدّا، ويحتاجُ لبيانِ قواعدِ أهل السنّة في التعامل مع ولاة الأمر، لكنّها موجودةٌ ولله الحمد في كتب العقائد..وقوله ﷺ: **(وإنه مَن يعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيرا)**..وصدق ﷺ.. حادثة عثمانؓ قريبة، يعني ليس هناك عهدٌ بعيد بين حادثة عثمان، ووفاةِ النبيّ ﷺ..قتلوه الخوراج وهو بين كبار الصحابة..وشقّوا صفوفَ المسلمين..وحصل من الشرّ ما نتجرّع ويلاتِه إلى يومِنا هذا..عدمُ اتباع النصّ والسمع والطاعة لولي الأمر المسلمِ معناه الخوضُ في دماءٍ بلا نتائج، دماء ولا تعرفُ النتيجة..لو كانت النتيجةُ معروفةً مضمونة فلا بأس؛ لكن الحاصل دماء بلا نتائج، وهتك للأعراض والأنفس بلا نتائج، بل في كثير من الأحوالِ يكون الأمر أسوأ مما كان..فما هو المخرج للفكاكِ من هذه المصائب؟! الحل أن يمتثِلَ الإنسانُ الكتابَ والسنّة، ولو كان خلافَ هواه..مطلوب مني أن أحسِن إلى والدي ولو كان كافراً بالله

معتدياً على حرماته؟ سمعاً وطاعة..أحسِن إليه..لماذا؟ تقول: الله أمرني بذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفا)..طاعةً لله.. ليس لأجله لذاته .. طاعة لله أمرني أن أصبِر على جور الولاةِ وعلى ظلمهم..سمعاً وطاعةً لله ولرسوله، ليس حباً ولا تعظيماً لذات ولي الأمر..بل هو عبد ضعيف فقير محتاج إلى الله، ظلوم جهول..ولكن اتباع النصّ أولى من كل شيء..ووليُّ الأمر قد يكون بطريق السِّلم وله صُوَر معروفةٌ مشهورة..أو بطريق الغلبةِ والقهر..وكلّها في النهاية تجِبُ فيها الطاعة على تفصيلٍ طويل يذكره العلماء..يقول ابن رجب رحمه الله: (وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا ، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم ، كما قال علي ﷺ : إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر ، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربه ، وحمل الفاجر فيها إلى أجله)..انتهى كلامُه رحمه الله..وفي الحقيقة هذا الأمر يحتاج إلى بسطٍ وتفصيلٍ وضربِ أمثلة..طيب..وقوله ﷺ: (**فعليكم بسنّتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديّين**)..سنة النبيّ ﷺ: أي طريقتَه ونهجَه..والخلفاء الراشدون أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ..فما عملوا به وانتهجوه فهو حجّةٌ بنصِ النبيّ ﷺ..لأن أفعالَهم أصلاً تطبيقٌ وعملٌ بالوحيين..والمهديين: يعني أهل الهداية، وهذه صفة كاشفة..فهم مهديّون..فأين عقولُ من ينتقِصُ قدرَهم ويدّعي محبةَ النبيِّ ﷺ؟! هذا عجيب!..وأقول: هذا الزمن بالذّات لا ينجو فيه إلا العالم بأحكامِ الشريعة، المتعلّق بربّه..فلا يُقدِم الإنسانُ على أمرٍ بمجرّد العواطفِ أو بمجرّد كلامٍ سمعَه أو صورةٍ رآها..لا..اعرِف حكمَ الله، ثم توكّل عليه وتضرّع واطّرح بين يديه؛ فإن اتّضح الأمرُ لك وإلا فأمسِكْ تسلم..إذن: ثلاثة أصول بها النجاةُ من الفِتن والاختلافِ والشر: التقوى، السمع والطاعة، التمسك بالسنة..هذه أصول السلامة..الوقت ضاق..وقوله ﷺ: (**عَضُّوا عليها بالنواجِذ**)..النواجذ هي الأضراس..وهذه كنايةٌ إلى شدّةِ التمسّك بالسنة، وعدمِ اتباع الهوى والفِتن والبِدَع والدخول في أمورٍ مظلمةٍ لا يعرِفُ الإنسانُ المسلمُ أمرَ اللهِ فيها..وقوله ﷺ: (**وإياكم ومُحدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ**)..حذّر من البِدع والأمورِ المحدَثة؛ فليس فيها إلا الضلالُ والشرُّ بنصِ النبي ﷺ..وهذا الحديث: ساقَه

المصنفُ بألفاظٍ تُخالِفُ ما في السنن، لكن المعنى متقارب..وهو حديثٌ جيّدُ الإسناد..وفي الحقيقة أوصي بقراءةِ شروحات هذا الحديث، اختصرتُ مذاكرتَه هنا لطبيعة الدورة..ثم قال المصنفُ رحمه الله تعالى: **(عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ ﷺ قَالَ:قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعدني منِ النار قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئَا، وَتُقِيْمُ الصَّلاَة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْلَمُونْ) ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِملاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)**..هذا الحديث متكلّمٌ فيه عند أكثر أهل العلم، وأعلّوه بعِلَلٍ مذكورةٍ في الشرح الثاني وهذا هو الأقربُ، ولكن معانيه التي دلّ عليها ثابتةٌ في نصوص أخرى، وبعضُهم يُحسّنه..وعلى كلّ حال هو حديثٌ عظيم..اشتمل على قواعدَ في الفرائض وبيّن منزلةَ الجهاد سواء كان بالسنان أو اللسان، وبيّن أمراً مهمّاً في سلامةِ أعمالِنا لنا يوم القيامة، أعني به حفظَ اللسان..وقوله رحمه الله: **(عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ ﷺ)**..هذا الصحابي سبقت ترجمته..وقوله ﷺ: **(قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعدني منِ النار)**..هذا صحابيٌّ من علماءِ الصحابةِ الكبار، وهو من أعلمِ الصحابةِ بالحلال والحرام..عالم..ومع ذلك سأل هذا السؤال العجيب! سأل عن خلاصةِ الخلاصة..الزبدة كما يقولون..وهذا فيه فوائد: أولا: على طالب العلم أن يجعلَ مقصدَه بين عينيه..وما هو مقصدُ العلم؟ الخشية التي تدفعُ صاحبَه لطاعة مولاه، واجتنابِ نواهيه..طيب: إذا لم يحصل عليها؟! هل انتفعَ بعلمه؟ الجواب: لا..ما

تحصّل على المراد..فالعلم في حدّ ذاته ليس مقصداً يُكتفَى به..وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر أنَّ بعضَ طلبةِ العلم ينشغل بصورة العلم فقط، ولا يلتفِتْ إلى حقيقتِه والمقصودِ منه! فقال كلاما معناه: لا بدّ تغذيةِ النفسِ بالتذكير وتصحيحِ المسار والتوجّه إلى الآخرة، وجعلِ العلم وسيلةً إلى مرضاةِ الله..كسائق السيّارة الآن..لو سافرَ أحدُكم في طريق طويل إلى مكّة مثلاً، في أثناء السفر ومع التعب والإرهاقِ؛ يغشاهُ نعاسٌ وشيءٌ من النوم؛ فترتخي يده، وتنحرف دابتُه من الطريق السّوي..فينتبه مرةً أخرى ويُصلح مسارَه وهكذا في مجاهدةٍ مستمرّة..وإلا فسيهلك..على كل حال هذا الصحابي الجليل سأل عن عملٍ يُدخلُه الجنة..وهذا فيه دليل على أنَّ دخولَ الجنةِ وإن كان في النهاية والأخير بفضلِ الله ورحمتهِ لأنَّ العملَ في ذاتهِ ليس عوِضاً عن الجنّة، إلا أنّه لابدّ من عمل لتشملَك رحمةُ الله، لابدّ من إيمانٍ وعمل..﴿وتلك الجنةُ التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ فلابدّ من العمل، وقد سبق الكلامُ على هذا في حديث ابن مسعود ﷺ..وفي هذا كما سبق حرصُ الصحابةِ بل شدّةُ تعاهدهم وحرصِهم على ما ينفعهم حقيقةً وهو رضا الله وامتثال أمره..أهل عقولٍ حصيفة ﷺ..وقول ﷺ: **(لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ)** يعني عن أمرٍ نتيجتُه عظيمة؛ من أجلِه خُلِقَت السماواتُ والأرضُ وبُعِثَتْ الرسلُ وأُنزِلَت الكتبُ وهاجر المهاجرون وأنفق الناسُ أموالَهم وبكى الصالحون، جنّة ونار، نعيم أبدي وعذاب سرمدي..هذا سؤالٌ عظيم..هذا المعنى الأول..وقال بعضُهم: المراد: سألتَ عن فعْلٍ عظيمٍ مهمٍّ ليس بالسهل على كلّ أحد..المعنى يحتملها..وهذا صحيح..هذا العمل فيه من ناحية التكليف نوعُ مشقّة، وهذا أمرٌ كوني في كلِّ شيء..يعني بعض الناس يقول: أمور الدين فيها مشقّة"، وكأنَّ أمورَ الدنيا لا مشقّةَ فيها..انظروا وتأمّلوا كيف يحصُل أحدنا على وظيفةٍ..أولا: يدرس اثنتي عشرةَ سنة متّصلة، ستة في الابتدائي، وثلاثة في المتوسط، وثلاثة في الثانوي؛ هذه اثنتي عشرةَ سنة دراسة فقط..ثم جامعة أربع سنوات..هذي كم ستَّ عشرةَ سنة متصلة..يقوم في الصباح ويذهب ويركب وينزل ويجلس ويحلّ واجبات في البيت واختبارات ويصرف..وبعد هذا كلِّه تبدأ مشقّة ثانية؛ وهو الحصول على وظيفة..يعني مع هذا التعب الوظيفةُ غير مضمونة..ثم إذا توظّف لم

ينتهِ العناء..وقصّة طويلة جدًا..والناس لا يرون هذه مشقّةً ولا فيها شي؛ يقولون: لابد من هذا، والسماء لا تُمطِر ذهبا..ولكن صلاة الصبح مثلاً أو اجتناب الربا..أوو..هذه مشقّة كبيرة؛ لأننا لا نستحضر الموعودات، عندنا ضعفٌ في اليقين..ففي الحقيقة مَن تأمّل مشقّةَ الدنيا بالنسبة لمشقةِ وتكليفِ الأوامر الشرعية عرفَ معنى قوله ﷺ: (الدين يُسر) أي والله يُسر..أسهل من الدنيا بآلاف المرات، بل لا وجه للمقارنةِ أصلاً..والله المستعان..وفي قوله ﷺ: (لقد سألت عن عظيم) تحفيزٌ للسؤال، وتشجيع لمعاذ...وقوله ﷺ: **(وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ)** يعني هذا الشيء وهو العمل يسيرٌ بتيسير اللهِ..وهنا قرينة استدلّ بها القائلون بأن المقصود في قوله (لقد سألت عن عظيم) يعني العمل..على كل حال الوقت يُداهمنا..وقوله النبي ﷺ: **(وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ)** توجيهٌ نبويّ وربطٌ للسائل والسامعِ بربِّهِ توكلاً واعتماداً وإنابةً وتضرّعاً..فالله هو الهادي، وهو الموفّق..وكما يقول الحكيم: إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى***فأول ما يجني عليه اجتهادُه..ثم سرَد بعضَ هذه الأعمال؛ فقال ﷺ: **(تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئَا)**..هذا التوحيد، وهو الرأس كما يقولون..لا يصلح مع الشرك عمل..وقوله ﷺ: (لا تشرك به شيئا)؛ لأن الإنسانَ قد يعبُد الله لكن مع الشرك..يعبدُه ويُشرِك معه غيرُه، وهذه في الحقيقة ليس عبادةً على وجه الحقيقة..هذا كثير في بلاد من المسلمين..والله المستعان..ويدخلُ في ذلك الشرك الخفي، فالمؤمنُ عليه أن يتعاهدَ نفسَه بالمحاسبة الوخيمة ليُخرجَ من قلبهِ كلّ مخلوق: حاكم، محكوم، كبير صغير أهل أصحاب دنيا أموال..لا نقصد إلا الله، هو مولانا وإلهنا..ثم قال ﷺ: **(وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ)** هذه هي الأركان الخمسة، وقد سبقَ الكلامُ عليها..هذه الأعمال تُدخِلُ العبدَ الجنة، وتُبعِدُه من النار..وجاءنا في الحديث السابق أنَّ الإسلامَ مبنيٌّ عليها..وانظروا إلى هذه الأمور التي بُني عليها الإسلامُ ما أسهلَها وأيسرَها، فقط تحتاج إلى توفيق..التوحيد فيه مشقّة؟! صلوات تأخذ دقائق معدودة، فيها مشقّة؟! زكاة مرّة في السنة ربع العشر..يعني إذا كنتَ تملك اربعة آلاف ريال، تُخرِج منها فقط مئة ريال..مئة من أربعة آلاف..فيها شيء؟! في السنة الكاملة..سنة

كاملة ليس عليك إلا هذا المبلغ..الحج مرة في العمر كلِّه..أعمالٌ يسيرة..لكن الأمر يحتاج إلى توفيق..ثم قال ﷺ: (**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ**)..يعني أُرشِدُك على أعمالٍ تُدخلُك على الخير؟ والمقصود بالخير الحصول على رضا الله؛ هذا رأسُ الأخير وأصلُه..وفي هذه الجملة فوائد كثيرة جداً..ففيها استحبابُ زيادةُ السائل على سؤالِه إذا عُلِم منه الحرص والشوق..وقوله ﷺ: (**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**) هذا الأول..والجُنّة يعني الوقاية وسِتر، منه سُمَّت الجنُّ جنّا لأنها مستترة..بمعنى الصوم وقايةٌ من الشرِّ وأبوابِه..وهل هذا تكرار؟ لأنه ذكر الصوم في الأول مع الأركانِ قبل قليل؟ نقول: هذا محمول على النوافل، وتلك على الفرائض..وقوله ﷺ: (**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**) هذا تشبيه بليغ..ويكفي في فضل الصدقة وعِظمها قصّة التي سقَتْ كلباً..تصدّقتْ عليه بالماء..والصدقةُ معناه عامٌّ كما سبقَ بيانُه؛ فقد تتصدّق بالكلام الحسَن وتُصلِح بين اثنين أو تهدي قلوباً بعد تذكيرِها ونحو ذلك..وقوله ﷺ: (**وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْلَمُونْ)**)..ذكر الرجل هنا من باب التغليب فقط؛ وإلا فالحكم عامٌّ يشمل الرجال والنساء بلا شكّ..ومن فوائد هذه الجملة استحبابُ ذكرِ شيءٍ من القرآنِ في الموعظة..ومنه الفوائد أن قراءةَ الآيةِ ونحوِها في الخطبة لا تحتاج إلى استعاذة..وصلاةُ الليلِ دأبُ الصالحين، وصفةُ الأولياء المخلصين..ومَن عنده حاجةٌ فليَرفَعْها خصوصاً في جوف الليل..وقيام الليل سببٌ لرقّةِ القلبِ ودمعةِ العين والزهد في الدنيا..وتأمّلوا الآية..هذا القرآن عجيب (تتجافى جنوبُهم عن المضاجع)..الله المستعان..نسأل اللهَ لطفَه كم عندنا من التقصير..الكلام على هذا يطول والوقت انتهى..وقوله ﷺ: (**أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**)..رأسُه الإسلام؛ وبدون الرأس لا يحيا الجسد..إذن: أولا الإسلام والاستسلام والانقياد لله، وهنا يشمل الإيمان كما مرّ تقريرُه من كلام أهل العلم في دلالة الإسلام على الإيمان إذا افترقا..وعمودُه الذي به يقوم الدين ويظهرُ أثرُه في المجتمعِ وفي المسلمِ نفسِه: الصلاة..وكما يقول الحكمي:

ثانية الأركان للإسلام [١] تنهى عن الفحشاء والآثام

قرة عين المصطفى فيها كما [٢] عن نفسه أخبر نصاً محكما

ولم يزل مبادرا إليها [٣] وكم له من بيعة عليها

وحين ما قد جاءه الوفاة [٤] آخر ما أوصى به الصلاة

ومن يكن صلاته قد ضيعا [٥] كان لغيرها يقينا أضيعا

فهي عمود الدين فاحفظنها [٦] فإن أول السؤال عنها

إن قبلت يقبل سائر العمل [٧] أو لا فيا صفقة خسر لم تقل

أنى له الربح مع الإذهاب [٨] لرأس مالهْ يا أولي الألباب

أما ترى الفسطاط يا ذا عندما [٩] عموده يسقط منه انهدما

كذاك لم يثبت بناء الباني [١٠] بعد انهدام أعظم الأركان

وأصل لعن المبعد المطرود [١١] هو امتناعه عن السجود

وحين ما نسجد في القرآن [١٢] يحزنه غاية الإحزان

وحين ما يسئل من قد أجرما [١٣] عن الذي أدخله جهنما

يجيب أن ترك الصلاة سلكه [١٤] في قعرها فيا لها من مهلكة

وحرم الله على النيران أن [١٥] تأكل آثار السجود فاغنمن

وفضلها لم يحص بالتعديد [١٦] وتركها كم فيه من وعيد

وقوله ﷺ: (وذُرْوةُ سنامه) يعني سنامِه..والسنام معروف الجزء المرتفع من ظهر الجمل..وفضلُ الجهادِ في سبيل اللهِ لا يُمكِنُ التحدّثُ عنه في ساعةٍ ولا ساعتين ولا ثلاثة..فهو درجةٌ عالية..والجهادُ أنواعٌ كثيرة..ويجمع تلك الأنواع أن يُقال في التعريف: هو بذلُ الجُهدِ لإعلاءِ كلمة الله..تارةً باللسانِ، وتارةً بالمال، وتارةً بالسّنان وهو آخر مراحلِها، وهو أعظمُها بالسّنان إذا جاء في وقتِه..حسب الأنفع لنشر دينِ الله..قد يكون باللسانِ أنفعَ من المال..مثل إبراهيم ﷺ..إبراهيم ونوح أكبر المجاهدين، جاهدوا أقوامَهم لإعلاءِ كلمة الله.. والكلام على هذا يطول..وقوله ﷺ: (: **أَلا أُخبِرُكَ بِملاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ:بَلَى يَارَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**.)..يعني بملاكِه الذي به تصفو الأعمال وتنفَع صاحبَها..وهذا يدلّ على أن مجاهدةَ النفسِ مِلاكُ الأمور..لأن الأعمال التي سبق ذكرُها بمثابة الغنائم..وكفُّ اللسان سلامة..والسلامة مقدّمةٌ على الغنيمة كما هو معلوم..وقوله: (**قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ**.)..النبيُّ ﷺ استغربَ هذا السؤالَ من عالمٍ كبير..فقال كلمةً يقولونها العرب لينبّهوا السامع أو يؤدبوه ونحو ذلك؛ فليس ظاهرُها مراداً..ومنه قولهم: (تربَتْ يداك)..والمعنى عوقِبْتَ على هذا ونحو ذلك..(**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**)..هذا اللسان يستهينُ به الإنسانُ وهو خطير جدّا، ولذلك جاء في جمع من الأحاديث مثل قوله ﷺ: (من يضمَنْ لي ما بين لَحيَيْه وما بين رِجلَيْه أضمنُ له الجنَّة)..وسُئِل

عن أكثر ما يُدخِل الناسَ النار؛ فقال ﷺ: (الفم والفرج).. والنصوص في هذا هذا كثيرة معلومة ونكتفي بهذه الإشارات، والله تعالى أعلم.